الهندسة القاتلة

رواية

المهندس
عمر جمال الدين الكيلاني

“ليست كل الجدران وُضعت لتحمي... بعضها بُني ليُخفي.”
– من مخطوطة مجهولة، وُجدت في قلب الخراب

المقدمة

ليست كل الجدران شُيّدت للحماية، ولا كل الجسور بُنيت للعبور.

في قلب مدينة تنهض على عجل، ينكشف لغز مدفون تحت الإسمنت والحديد، حيث تتحول الهندسة من علمٍ للبناء... إلى شبكةٍ من الأسرار، والخيانات، والمصائر المنهارة.

آدم نبيل، مهندس مدني لامع، يظن أن مشاريعه تربط الناس، لكن ما لا يعرفه أن أحد مشاريعه يخفي شيئًا... لم يكن يُفترض لأحد أن يكتشفه.

فحين ينهار جدارٌ واحد، تبدأ الحقيقة في الصعود.

2

الفصل الأول: الانهيار

السماء ملبدة بالغيوم، والرياح تحمل معها رائحة إسمنتٍ حديث السكب. كان الموقع يعجُّ بالضوضاء، ضجيج الآلات، وصيحات العمال وهم يتسابقون مع الزمن لإنهاء المرحلة الثانية من المشروع.
وقف المهندس آدم نبيل على حافة سقالة مرتفعة، يتأمل الجدار الخرساني الضخم وقد اكتمل صبُّه قبل أقل من أربع وعشرين ساعة. كان يتفقد بعينه الحادة أدق التفاصيل؛ زاوية الميل، تموضع الحبال، شدّ الحديد... لم يترك شيئاً للصدفة.

ثم حدث ما لم يكن في الحسبان.

هديرٌ مفاجئ اخترق ضجيج الموقع... هزَّة خفيفة، تبعها اهتزاز سريع في الأرض، وانفجرت صرخة حادة:

— "إبعدوا! الجدار...!"

وفي لحظة كابوسية، انهار الجدار كما لو أن قوة خفية اقتلعته من جذوره، وارتطم بالأرض بصوتٍ أشبه

بانفجار قنبلة. تطاير الغبار كعاصفة مفاجئة، وتحوّلت الأصوات إلى صراخ واستغاثات.

جثا آدم على ركبتيه وهو يشهق كمن غُرِس رمح في صدره.

لم يكن الانهيار فقط كارثة هندسية... بل كان مأساة بشرية.

تحت الركام، وعلى بعد خطوات قليلة، كان جسد عزمي فؤاد، مساعده وصديقه، غارقاً تحت الخرسانة، وقد فارق الحياة على الفور.

بعد ساعات، حين خيّم الليل على المدينة، جلس آدم في مكتبه، يحدق في صورة التقطها بهاتفه قبل أن تُسيطر الشرطة على الموقع. كانت صورةٌ غريبة لرمز محفور على لوح معدني وُجد خلف الجدار المنهار، لم يُذكر في أي مخطط.

دائرة يتوسطها مثلث، تتقاطع في داخله خطوط دقيقة تشبه خريطة... وأسفلها كُتب:
.”G-9.12.4 — KALPA“

لم تكن تلك الحروف تنتمي إلى عالم البناء.

ولم يكن الانهيار مجرد صدفة.

في اليوم التالي، خلال جنازة عزمي، اقترب من آدم رجل مسنّ لم يسبق له رؤيته. كان وجهه حاد الملامح، عيناه غائرتان، وصوته بالكاد يُسمع وسط همسات المُعزين:

— “احذر الجسر، يا بني... إنه ليس ليربط طرفي المدينة، بل ليحجب ما تحتها.”

وقبل أن يسأله آدم شيئًا، اختفى الرجل كما ظهر، دون أثر.

وقف المهندس مشدوهًا، يحاول فهم ما سمعه، لكن قلبه كان قد بدأ يشعر بشيءٍ لم يفهمه بعد:
لقد بدأ اللغز.

الفصل الثاني: الرمز

في تلك الليلة، لم يغمض لآدم جفن.
جلس في مكتبه الصغير الذي يعلو مرآبًا خاليًا، وسط كومة من الخرائط والملفات الهندسية. لكن أوراق المشروع التي كانت تشغل باله منذ أسابيع لم تعد تعني له شيئًا. كل تفكيره كان محصورًا في تلك الصورة التي التقطها للرمز الغريب، قبل أن تُغلق الشرطة الموقع وتبدأ التحقيقات الرسمية.

”G-9.12.4 — KALPA“

كتب الرمز في دفتره مراتٍ عديدة. تكرار الحروف والأرقام أمام عينيه أصبح أشبه بهوس.
“كالپا”... الكلمة لا تنتمي لأي مصطلح هندسي يعرفه، ولا لأي نظام رمزي شائع في المواقع.
فتح الحاسوب، وبدأ البحث.

مرت ساعة... ثم ساعتان.
ظهرت أخيرًا إشارة واحدة في محرك بحثٍ بديل، داخل أرشيف لمخطوطة فلسفية هندية نادرة:

“Kalpa: دورة زمنية كونية في الميثولوجيا القديمة، تُقاس بملايين السنين، يُبنى خلالها العالم ويُهدم، ثم يُعاد بناؤه...”

ابتلع آدم ريقه.

لم يكن ما وجده تفسيرًا مباشرًا، لكنه فتح بابًا لم يتخيل أن يطرقه يومًا.
هل من المعقول أن يُربط رمز كهذا بموقع إنشائي حديث؟
ومن حفره هناك؟
وما علاقته بانهيار الجدار؟
بل الأهم... لماذا لم يظهر في أي مخطط، ولم يره أحد سواه؟

في صباح اليوم التالي، قصد الموقع مجددًا متخفيًا بسترة عامل، بعد أن تلقى إشعارًا بأن الوصول محظور. دخل من جانب خلفي، بخطوات مترددة.
كان هدفه التحقق من المكان ذاته الذي انهار، لا ليبحث عن سبب فني، بل عن ما قد يكون تَرَكَه الرمز.

اقترب من الركام، فلاحظ شيئًا عجيبًا.

قطعة خرسانة منفصلة عن غيرها، لها ملمس مختلف.
طرق عليها بأداة معدنية، فكان الصوت أجوف.
بدأ بكشط السطح بحذر.
وبالفعل... خلف الطبقة الخارجية، وجد أنبوبًا معدنيًا رفيعًا، ملتحمًا بمادة خرسانية خفيفة.

أخرجه، فتحه بحذر، ووجد بداخله لفافة سوداء ملفوفة بعناية.

فتحها.

كانت خريطة، مرسومة يدويًا، تتقاطع فيها خطوط مستقيمة ومنحنيات.
وفي وسطها خط أحمر عريض يشق المدينة، يتوقف تمامًا عند موقع الجسر.

في الزاوية، بخط صغير لا يكاد يُقرأ، وُجدت عبارة مكتوبة بلغة أقرب للاتينية القديمة، لكن ما فَهمه منها كلمة واحدة فقط:

“الممر.”

رنّ هاتفه المحمول فجأة.

— “أستاذ آدم... رجال شرطة هنا في الشركة. معهم أمر بتفتيش مكتبك. قالوا إن هناك شكوكًا حول تورّطك في فشل التصميم...”

ارتعدت يداه.

الأنبوب بين يديه. الخريطة أمامه.
والشرطة تقترب.

شعر كأن الأرض بدأت تنهار تحته، لا الجدار.

الفصل الثالث: المطاردة

لم يكن لدى آدم وقت للتفكير.
أعاد اللفافة إلى الأنبوب، ودفنه سريعًا في حقيبة ظهره تحت كومة من الأوراق الهندسية القديمة، ثم اندفع خارجًا من الموقع، يتلفّت كمن يهرب من شبح.
أنفاسه متقطعة، نبضه يتسارع، وكل ما يدور في رأسه:
"من الذي يحاول إسكاتي... ولماذا؟"

وصل إلى سيارته المركونة على بُعد شارعين.
فتح الباب، جلس خلف المقود، لكنه قبل أن يُدير المفتاح لمح في المرآة الخلفية سيارة سوداء متوقفة منذ وقت طويل... نفس السيارة التي لمحها بالأمس قرب مقر الشركة.

تجاهل إحساسه بالارتياب في البداية، ثم رأى الباب يُفتح، وشخصين يخرجان منها. أحدهما يرتدي معطفًا طويلاً، يحمل ملفًا صغيرًا.

ثوانٍ فقط فصلت بين تردده... وقراره.

انطلق.

عجلات السيارة صرخت على الإسفلت، وانعطف بسرعة نحو الطريق الجانبي المؤدي إلى أطراف المدينة.

وصل بعد ساعة إلى حي قديم، شبه مهجور، يعرفه منذ أيام دراسته. حارة ضيقة تؤدي إلى منزل عربي الطراز، متهالك لكن مخبَّأ عن الأعين.

كان هذا المنزل ملكًا لأستاذه الجامعي الراحل، الدكتور جلال عطا، الذي توفي قبل ثلاث سنوات في حادث وصفوه حينها بأنه "عرضي".

لكن آدم لم يصدق ذلك قط.

كان الدكتور جلال يعمل على مشروع بحثي سري عن البنى التحتية القديمة المدفونة تحت المدينة، وكان يعتقد بوجود نظام هندسي دفين أسبق من العصر الحديث... نظامٌ قد يغيّر كل مفاهيم البناء.

وللمفارقة... كان مشروع الجسر الحالي يُقام فوق المنطقة التي أشار إليها الدكتور ذات مرة وهو يقول:

ـــ "هناك شيء تحت الأرض يا آدم... شيء لم يُرِدوا لأحد أن يعرفه."

فتح باب المنزل بصعوبة، فتسلل الضوء الخافت إلى الداخل كأنما يوقظ ذكرى نائمة.
دخل إلى غرفة المكتب القديمة، التي لم تُمسّ منذ وفاة الدكتور.
على الرف، وجد خريطة مهترئة مغطاة بالغبار.

نفضها.

كانت مشابهة للخريطة التي وجدها داخل الأنبوب، لكن أكثر اكتمالاً.
وبالزاوية السفلية... بخط يدوي:

"KALPA – الجسر ليس بناءً فقط... بل قفلٌ.
من يحطّمه، يفتح ما لا ينبغي فتحه."

قبل أن يستوعب ما قرأه، دوّى صوت انفجار خفيف خارج النافذة.

ركض إلى الزجاج.
سيارته... اشتعلت فيها النار.

ثم رأى ظلاً بشريًا ينسحب بعيدًا، بخطوات هادئة.

آدم لم يعد في مأمن.

لقد بدأوا في إغلاق الدوائر حوله.

الفصل الرابع: العامل الغامض

الشرر يتطاير من بقايا السيارة، واللهب يلتهم ما تبقّى من الهيكل الحديدي.
وقف آدم خلف نافذة منزل الدكتور جلال، يحدّق في المشهد بنظرات جامدة، كأن جسده لا يقوى على استيعاب ما يحدث.

كان التفجير صامتًا نسبيًا، معدًّا بإتقان، لا ليُحدث ضوضاء... بل ليوصل رسالة.

"نحن نراك. ونعرف مكانك."

شعر آدم بشيء يبرد في عروقه، ليس من الخوف، بل من وضوح المعادلة:
هو الآن ليس مهندسًا في أزمة مهنية... بل رجل في قلب لعبة غامضة، قواعدها تُملى من جهة خفية، لا تتورع عن القتل.

في اليوم التالي، وتحت هويّة مزيفة، عاد آدم إلى موقع المشروع متنكرًا بزيّ عامل بسيط.
كان الموقع يعجّ بالوجوه الجديدة، أغلبها من العمال الموسميين.
لكن بين كل تلك الوجوه، استوقفه رجل واحد.

عامل شاب، في منتصف الثلاثينيات، ذو لحية خفيفة وعينين حادتين، يرتدي قبعة السلامة فوق رأسه بإحكام.

اسمه على السترة: "ربيع".

رآه آدم يراقب إحدى الحفارات باهتمام، وكأنّه يحصي نبض الأرض لا مجرد تحرّك الآلة.
ثم لمح شيئًا عجيبًا...

"ربيع" كان يحدق في نفس النقطة التي انهار فيها الجدار، بتركيز غريب.
وحين اقترب منه مشرف الموقع، انتفض العامل فجأة، وتظاهر بأنه يربط رباط حذائه.

اقترب منه آدم، مدعيًا أنه عامل جديد.

— "هل تعمل هنا منذ بداية المشروع؟"

هزّ ربيع رأسه:
— "لا... انضممت قبل أسبوع فقط."

لكن آدم لاحظ في عينيه شيئًا لا يُشبه عمال البناء.

أراد أن يسأله المزيد، لكن قبل أن ينطق، قال "ربيع" فجأة:
— "كنت هناك... لحظة الانهيار."

تجمّد آدم.

— "ورأيتُ شيئًا لم يُذكر في التقارير. كان هناك رجل يرتدي زيّ مهندس، لكنه لم يكن من الطاقم. دخل إلى منطقة الجدار قبل الحادث بدقائق، وضع شيئًا صغيرًا على القاعدة، ثم غادر من البوابة الجانبية."

أكمل بنبرة أخفض:
— "ثم... سقط الجدار."

قبل أن يستجوبه أكثر، انقطع الحديث بصفارة إنذار من جهاز تحكّم مركزي.
هرع الجميع نحو مركز السلامة.
لكن حين عاد آدم ليبحث عن ربيع...

كان قد اختفى.

كأنما لم يكن موجودًا.

في تلك الليلة، راجع آدم تسجيل الكاميرا المثبتة على خوذته الخاصة – جهاز صغير كان يستخدمه لتوثيق مراحل التنفيذ في السابق.

وفي إحدى اللقطات، حين كان يجري بين الحطام بعد الانهيار... ظهر "ربيع" في الخلفية.

لكن الملف الأغرب، كان تسجيلاً لم يُفعّله آدم قط، لكنه كان محفوظًا.

مدّته ثلاث دقائق.
يُظهر اللقطة نفسها التي وصفها ربيع:
رجل مجهول، يركع عند قاعدة الجدار، يضع شيئًا أسود صغيرًا... ثم يرحل.

آدم لم يعد يشكّ.

الانهيار لم يكن خطأ هندسيًا.
بل كان تفجيرًا هندسيًا دقيقًا.

الفصل الخامس: الملف الأسود

جلس آدم في شقته الجديدة المؤقتة، وهي غرفة صغيرة فوق مكتبة قديمة في أحد الأحياء المنسية.
كانت أنفاسه متقطعة، وعيناه متعلقتان بشاشة الحاسوب المحمول التي تعرض الفيديو المسجَّل من خوذته.
ثلاث دقائق... لكنها كانت كافية لقلب كل المعادلات.

رجلٌ مجهول يركع عند قاعدة الجدار، يزرع شيئًا صغيرًا أسود اللون، بحجم كف اليد، ثم يغادر من بوابة جانبية لا تستخدم إلا لحالات الطوارئ.

التوقيت دقيق.
الموقع حساس.
والنتيجة: موت عزمي، وانهيار الجدار.

دوّى صوت إشعار بريد إلكتروني.
فتح آدم الرسالة، فوجد عنوانها مشفرًا:

“أنت تقترب. احذر.”

المُرسل: مجهول.

كان الأمر قد تجاوز حدود الشك، وتحول إلى يقين.
هناك جهة تتابعه، تراقبه، وربما تنتظر خطأ واحدًا لتسقط عليه كما سقط الجدار.

في صباح اليوم التالي، قصد قسم الأرشيف الهندسي في بلدية المدينة.
طلب الاطلاع على سجلات تصاريح دخول وخروج العمال في يوم الحادث.

وجد ما كان يخشاه.

اسم “ربيع سامي” غير موجود في أي قائمة.

لكنه وجد توقيعًا مشابهًا على استمارة مؤقتة، مسجّلة باسم مختلف:
“محمود سليم”.

وبعد مزيد من البحث، ظهر الاسم الحقيقي لصاحب الهوية:
جاسوس سابق تم الاشتباه بتورطه في عمليات تخريب لمواقع بنية تحتية في دولتين مجاورتين... ثم اختفى دون أثر.

خرج آدم من المبنى وأحس ببرودة غريبة تسري في جسده، رغم حرارة الجو.

كان يدرك الآن أن ما يواجهه يتجاوز مجرد جريمة هندسية، أو خلاف مهني.
إنه ضمن شبكة ضخمة، منظمة، مدرّبة... تتحرك في الظل.

وفي المساء، وهو يعيد تشغيل الفيديو للمرة العاشرة، قرر نشر مقطع مختصر من التسجيل – مدته 15 ثانية

– بشكل مجهول عبر الإنترنت، على قناة خاصة لا ترتبط بهوية رسمية.
هدفه: جَسّ النبض... هل هناك من يتفاعل؟ من يتواصل؟

مرت ساعات... لا رد.

حتى منتصف الليل.

ظهرت رسالة على القناة:
"ما رأيته ليس إلا البداية. إذا أردت أن تعرف من قتل صديقك... قابلني في المكتبة المركزية، الطابق السفلي، الساعة الواحدة بعد منتصف الليل."

التوقيع:
"م.س"

ذهب.

لم يكن يدري من ينتظره، ولا ما الذي قد يواجهه، لكنه لم يكن يملك خيارًا.

دخل المكتبة، متسللاً عبر الممرات الخلفية، حتى وصل إلى الطابق السفلي، حيث الأرفف القديمة التي لا يزورها أحد.

وهناك... سمع صوتًا أنثويًا خلفه:

ـــ "تأخرتَ يا آدم. توقعتُ أنك أذكى من أن تنشر الفيديو بهذه السرعة."

استدار بذهول.

كانت امرأة في الثلاثين من عمرها، ترتدي معطفًا رماديًا، تحمل حقيبة جلدية، وعينان تشعّان بالهدوء الحذر.

قالت:

— "اسمي ليلى عمران. مهندسة معمارية سابقة، كنت ضمن الفريق الأصلي لمشروع الجسر... حتى أُقصيت بعد أن اكتشفت شيئًا لم يكن يجب أن أراه."

سكتت لحظة، ثم أخرجت من حقيبتها ظرفًا صغيرًا وناولته له.

— "هذا ما خبأه الدكتور جلال قبل مقتله. وقال لي بالحرف الواحد:
"إن حصل شيء لي... أو لآدم... سلمه له فورًا."

فتح الظرف بيدين مرتجفتين.

داخله كانت خريطة مطابقة تمامًا لما وجده في الأنبوب. لكن هذه كانت مُوسومة بشيء إضافي... دائرة حمراء حول نقطة تقع تحت الجسر مباشرة، وفيها مكتوب:
"بوابة كالبا."

وأسفل الدائرة، كلمات بخط يدوي:

"افتح القفل... إن كنت مستعدًا لما بعده."

الفصل السادس: تحت الأرض

كانت الساعة تشير إلى الثالثة فجرًا حين تسلل آدم رفقة ليلى عمران إلى أسفل الجسر، عبر ممر جانبي لا يظهر في خرائط البلدية.
المكان رطب، مظلم، يعلوه صدى قطرات المياه، وأصوات الفئران تتنقل في الزوايا.
لكن ما لفت انتباه آدم لم يكن الرائحة... بل الهدوء.
الموقع الذي كان يعج بالآلات والعمال، بدا الآن كقبر صامت.

أخرجت ليلى مصباحًا صغيرًا، وأشارت إلى نقطة في الأرض:

— "تحت هذه اللوحة الخرسانية... قال الدكتور جلال إن هناك غرفة مخفية، تعود لمنشأة عمرها مئات السنين، دُفنت خلال توسعة المدينة القديمة."

بدأ آدم بإزاحة الطبقة العليا من الركام بيده، حتى وصل إلى إطار حديدي كبير، عليه نفس الرمز الذي وجده منقوشًا خلف الجدار المنهار:
دائرة، مثلث، خطوط متقاطعة... وكلمة "KALPA".

كانت هناك أربعة مسامير تثبيت ضخمة.

فتح اثنين... وحين وصل إلى الثالث، سمع صوتًا خلفه:

"قف. لا تلمس شيئًا آخر."

استدار ببطء.

كان هناك ثلاثة رجال مسلحين، يرتدون زيًّا موحدًا أسود اللون، عليه شعار شركة المقاولات المنفذة للمشروع، لكن بأسلوب غريب... أقرب إلى وحدات خاصة.

أحدهم تقدّم، ووجه مسدسه نحو رأس آدم.

— "ظننتَ أننا لن نعرف؟ منذ اللحظة التي نشرتَ فيها التسجيل، حُكم عليك بالموت."

صرخت ليلى وهي ترفع يديها:
— "لن تحصلوا على الخريطة! إنها محمية خارج النظام. إن قتلتمونا... لن تجدوا البوابة!"

ضحك الرجل:

ـــ "البوابة؟ نحن من صممها."

ثم أطلق رصاصة واحدة... لكنها لم تُصِب.

آدم كان أسرع مما توقع.

اندفع جانبيًا، وأمسك بجهاز معدني صغير من حقيبته، كان يستخدمه لتثبيت الكتل الإسمنتية، وضرب به يد المهاجم بقوة، فتطاير السلاح وسقط على الأرض.

ثوانٍ فقط... واندلعت المواجهة.

ليلى قفزت خلف ساتر إسمنتي، أخرجت من حقيبتها عبوة دخان صغيرة، أطلقتها باتجاه المسلحين.
انفجر المكان بسحابة رمادية كثيفة، وتشابك الجميع في عراك عنيف وسط الضباب.

آدم التقط المسدس، وأطلق رصاصة أصابت كتف أحدهم، بينما صرخ آخر:

ـــ "انسحبوا! البوابة لم تُفتح بعد!"

ركض المسلحون إلى النفق الخلفي، واختفوا في الظلام.

عاد الهدوء تدريجيًا.

آدم كان يلهث، قلبه يطرق صدره كطبول معركة.
ليلى جثت على الأرض، يدها تنزف قليلاً لكنها تبتسم:

— "لم أرك مهندسًا... بهذه البراعة القتالية من قبل."

قال وهو يمسح العرق عن جبينه:

— "أنا أيضًا لم أرك معمارية تحمل قنابل دخان."

مع أول شعاع للفجر، فتح آدم المسامير الأربعة، ورفع الغطاء الحديدي.

تحتها كانت فتحة تؤدي إلى درج حجري قديم، تغلفه النقوش، تنحدر إلى باطن الأرض...
وفي الجدار المقابل، كُتبت عبارة بلغة قديمة، ترجمها بصعوبة:

‘‘من لم يتهيأ لما سيرى... فليبقَ فوق الأرض.’’

نظر إلى ليلى، ثم إلى الممر.

قال بهدوء:

ـــ ‘‘فلنرَ ماذا كانوا يحجبون.’’

ثم نزل.

الفصل السابع: تحت الرماد

نزلا الدرج الحجري خطوةً خطوة.
الهواء كان أثقل من المتوقع، يعبق برائحة العفن والحديد القديم، ورطوبة الماضي المختزن في جدران لم تمسّها الشمس منذ عقود... وربما قرون.

آدم حمل المصباح أمامه، وضوءه الباهت راح يكشف عن نقوش غريبة على الجدران، بعضها بِلُغات لم يعرفها، وبعضها برسومات هندسية معقدة تُشبه المخططات المعمارية... لكنها غير بشرية الطابع.

قالت ليلى بصوت منخفض:

ـــ "هل تؤمن أن بعض البنى وُضعت لا لتُستخدم، بل لتُنسى؟"

لم يجب.

كان منشغلاً بما يراه... وبما يسمعه داخله.

في قلبه، كانت دوامة تدور منذ لحظة مقتل عزمي.
لم تكن مجرد مأساة.
كانت علامة.

ذلك الصديق الذي كان يُكمل معه خطوط التصاميم، ويراجع معه كل زاوية... أصبح جثة مطمورة تحت مشروع محكوم عليه بالخيانة.

وها هو الآن، يخطو إلى عالم لم يُصمَّم له، بل كُتب عليه أن يكشفه.

توقف عند حافة قاعة واسعة.
الضوء كشف عن نقوش دائرية في منتصف الأرض، تشبه عجلة أو بوصلـة، وقد كُتب حولها بلغة قديمة:

“بوابة الزمن تُفتح لمن فهم التوازن.”

نظر إلى ليلى وسأل:

— “لماذا ساعدتِني؟ لم أرك يومًا في الاجتماعات، ولم أسمع اسمك في التقارير.”

سكتت لحظة، ثم جلست على حجر منخفض وقالت:

— “كنتُ المهندسة المسؤولة عن تصميم السرداب التحتي للجسر، قبل أن يُقصوني. حين بدأت أكتشف خفايا في الخرائط، مسارات لا تؤدي إلى أماكن منطقية، غرف تُبنى بلا مدخل... شعرت أن هناك شيئًا غير مشروع.”

تنهدت، وأضافت:

— “ذات يوم، وجدت رسالة مخفية بين أوراق الطابق السفلي، موقعة باسم جلال عطا. قال لي إنهم ‘سرقوا التصميم من مخطوطة قديمة’، وإن المشروع ليس هدفه العبور، بل ‘الإغلاق’. ومنذ ذلك اليوم، بدأتُ أبحث، وراقبوني... حتى أجبروني على الاستقالة.”

سألها:

ـــ "ولماذا لم تُبلغي أحدًا؟"

ضحكت بسخرية:

ـــ "بلّغت. مرتين. مرة لرئيس اللجنة... فاختفى في اليوم التالي. ومرة لأحد الصحفيين... فانفجرت سيارته."

سكتت.

ـــ "أردت أن أنسى. أن أختفي. لكن حين شاهدت الفيديو الذي نشرته... عرفت أنهم عادوا، وأنك تسير في نفس الطريق. وقلت لنفسي... لا يجب أن يسير هذا الطريق وحده."

آدم لم يكن يعرف بماذا يجيب.
لكنه شعر بشيء غريب للمرة الأولى:

أنه لم يعد وحده.

وفي الزاوية البعيدة من القاعة، لَمَعَ ضوء أزرق خافت.

اقتربا.

كان هناك صندوق معدني صغير، مغلق بقفل دائري.

وعلى الغطاء، وُجدت نفس الرموز التي ظهرت في كل مكان منذ بداية الكارثة.

لكنها هذه المرة... كانت تتحرك ببطء، وتدور كأنها ساعة.

قال آدم:

ـــ "أعتقد... أننا وجدنا المفتاح."

الفصل الثامن: البوابة

جلس آدم القرفصاء أمام الصندوق المعدني، يتفحّص القفل الدائري الذي يدور ببطء كأنما يحوي تروسًا من زمنٍ آخر.

مدّ يده إليه، ولمّا لم يشعر بصعقة أو مقاومة، أدار الرموز وفق تسلسل ظهر له مألوفًا من النقوش المحفورة على جدران القاعة:
مثلث، خطان متوازيان، دائرة مفرغة، وحرف K.

صوت "طقطقة" خافتة صدرت من داخله... ثم انفتح الصندوق.

في الداخل، لم تكن هناك أوراق، ولا مفاتيح، ولا قطع ذهبية كما قد يتخيّل عقل يبحث عن كنز.
بل وُجد جهازٌ صغير أشبه بالكريستالة، يلمع من الداخل بنبض ضوئي بطيء، وكأنه قلب ينبض.

تحته وُجدت ورقة واحدة، صفراء اللون، مكتوب عليها بخط يدوي واضح:

> "حين يُوضع هذا المفتاح في لبّ البوابة، يتوقف الزمن للحظة، وتنكشف الحقيقة... أو يُبعث الجحيم."

نظرت ليلى إلى آدم، ثم إلى الجدار المواجه في القاعة، حيث كان النقش الأخير:

“بوابة كالبا”.

اقتربا من الجدار، حيث كانت هناك فجوة صغيرة مستديرة، بعمق كف اليد.
أدخل آدم الكريستالة في الفجوة.

دوى صوت اهتزاز، تبعه وميض أزرق قوي غمر القاعة.
ارتجفت الأرض تحت أقدامهما، وانفتح الجدار ببطء، ليكشف عن نفق ضوئي ضبابي لا يُشبه شيئًا مألوفًا... كأنما خرج من طيّات الخيال العلمي لا العمارة.

لكن قبل أن يخطوا داخله...

صدر صوت من الخلف.

— “جميل... لقد وفّرتم علينا عناء البحث.”

استدارا.

كان هناك رجل طويل، يرتدي معطفًا أسود، ملامحه حادة كأنها نحِتت على صخر، وعيناه رماديتان لا تحملان عاطفة.

قال بصوت بارد:

ـــ "اسمي ليس مهمًا. ما يجب أن تعرفاه هو أن هذه البوابة لم تُخلق للبشر العاديين. لقد فُتحت من قبل... وتسبب ذلك بكارثة لا تزال آثارها محفورة في طبقات الأرض."

رفع يده، فكشف عن سلاح غير مألوف، يشبه العصا المعدنية، وفي طرفه ومضة كهربائية.

ـــ "أُعطيكما فرصة واحدة. انسحبا، واهربا... أو ادخلا، ولا تعودا أبدًا."

اقترب بخطوات بطيئة، في عينيه يقين القاتل... لا التهديد فقط.

لكن ليلى رفعت المصباح اليدوي، وضغطت على زر في جانبه، أطلق وميضًا أبيض أعمى نظره للحظات.

في نفس اللحظة، سحب آدم الكريستالة من الجدار، وأعادها بسرعة، كمن يُعيد تشغيل قفل مخفي.

فانفتح النفق على اتساعه، وسُمع صوت يشبه صدى ألف صوت متداخل يقول:

"تم التعرّف على البصمة... البوابة الآن مفتوحة."

لم يتردد آدم.

أمسك بيد ليلى، واندفعا داخل النفق، والضوء يبتلعهما شيئًا فشيئًا...

والرجل الغامض صرخ من خلفهما:

— "أنتم لا تعرفون ماذا فعلتم!! لقد حرّكتم شيئًا لا يعود بسهولة!"

ثم أغلق النفق من خلفهم، وعمّ السكون.

في الداخل...
لم تكن هناك أنفاق.
ولا جدران.
بل عالمٌ جديد، غامض، خافت النور، محفوف بالرموز، كأنه هندسة لحُلمٍ قديم بُني ونُسي.

كان الزمن هناك... لا يسير.
ولا يتوقف.

بل ينتظر.

الفصل التاسع: هندسة المستحيل

حين خرجا من نفق الضوء، لم يشعر آدم بشيء تحت قدميه... ولا فوق رأسه.
كانا يقفان في فضاء معماري لا تحدّه الجدران، ولا يثبّته السقف.
كل شيء حولهما يُشبه عالمًا هندسيًا ثلاثي الأبعاد، تُحلّق فيه الكتل، وتتماوج فيه الخطوط، كأن الجاذبية نُسيت، أو أُعيد تعريفها.

قالت ليلى بذهول:

— "هذا... مستحيل."

أجاب آدم بصوت خافت:

— "بل هذا هو كالبا... الزمن الهندسي المدفون."

أمامهما ارتفعت ساحة دائرية تحيط بها أعمدة من حجر أسود، تطفو دون أساس، يدور كل منها حول الآخر بحركة ثابتة، لا تُخِلّ بالنظام.

وفي منتصف الساحة... جهاز غريب الشكل، يشبه متاهة دائرية محفورة داخل حجر.

اقتربا.

فوجئا بظهور رموز مضيئة على سطحه، تتبدل تلقائيًا:
رمز الجدار – تاريخ الانهيار – اسم عزمي – ثم:
"اختبر الحقيقة."

انبثق شعاع ضوئي فجأة من الجهاز، ورسم في الهواء خريطة للموقع الأصلي للمشروع، لكن بشكل مختلف.
ظهرت ممرات خفية، غرف هندسية داخلية لم تُذكر في أي تصميم، وأنفاق تصل إلى عمق الأرض...
وفي قلبها... قُبّة صغيرة مكتوب حولها: "نواة كالبا".

قالت ليلى:

ـــ "كأن المشروع الحديث أعيد تصميمه ليغطي على ما بُني منذ قرون... بنية فوق بنية، قفلٌ فوق قفل."

أومأ آدم:

ـــ "لكن هذا المكان... يملك عقلاً. هو يختبرنا."

وفجأة، تحوّلت الخريطة إلى لغز بصري.

أرضية المتاهة تغيّرت، وانقسمت إلى بلاطات، كل واحدة تحمل رمزًا هندسيًا:
مثلثات، منحنيات، مربعات ناقصة، وجميعها تتحرك عند لمسها.

فهم آدم سريعًا.
إنه اختبار مبني على الانسجام الهندسي:
أن تختار الرموز التي تُكمل الشكل الكلي، لا تلك التي تُربك البناء.

استغرق الأمر خمس دقائق فقط.

لكنه شعر وكأنها خمس سنوات.

وعندما وضع يده على الرمز الأخير، ثبتت المتاهة، وأصدرت صوتًا رخيمًا:

"مرحلة أولى: مكتملة. مرحبًا بكم في النواة."

وإذا بتيار من الهواء الدافئ يهبّ فجأة، ثم تظهر سلالم ضوئية تؤدي إلى الأسفل، إلى ما يشبه مركزًا ينبض بالطاقة.

نظرا إلى بعضهما، وجهان مغطّيان بالغبار والتعب... لكن العيون تبرق.

ليلى ابتسمت، ثم ضحكت، ثم صاحت:

— "لقد فعلناها، آدم! فعلناها فعلاً!"

واندفعت نحوه، تحيطه بذراعيها في لحظة صادقة، مشبعة بكل ما مرّا به.

ولأول مرة منذ بداية هذا الجنون...

تبادل الاثنان قبلة دافئة، متقدة، لم تكن وليدة الهوى فقط... بل انتصار، وخلاص، ولحظة نادرة يشعر فيها الإنسان أنه على قيد الحياة بحق.

لكن فرحتهما لم تدم طويلاً.

فصوتٌ عميق دوّى في أرجاء النفق:

"لم يكن من المفترض لكما الوصول إلى هنا."

استدارا.

الرجل ذو المعطف الأسود... واقفٌ في أول درجات النواة.

لكن ملامحه تغيّرت.
لم تعد بشرية بالكامل.

عينيه... تتوهجان بلونٍ فوسفوري.
وصوته... يُشبه صدى من بعيد.

قال:

ـــ "أنتم فتحتم البوابة. لكني أنا من سأعبر."

الفصل العاشر: صوت النواة

وقف الرجل ذو المعطف الأسود على أعلى درجات النواة، والجدار خلفه يشعّ بنور غامض، كأنّه يتنفس. عينيه تبرقان بلون فوسفوري أخضر، وصوته حين تكلّم، بدا كما لو خرج من حنجرة صدئة منذ قرون.

ـــ ‘‘أنتم لا تعرفون ما الذي فعلتموه... أنتم لم تفتحوا البوابة فقط، بل أحييتم ما دُفن هنا عن عمد.’’

اقترب بخطوات بطيئة.

ليلى أمسكت بذراع آدم، وهمست:

ـــ ‘‘إنه ليس بشريًا بالكامل... هذا واضح.’’

آدم سحب الكريستالة التي ما تزال تشعّ في يده، ورفعها أمامه.
سأل بصوت ثابت:

ـــ ‘‘من أنت؟ وما هي كالبا في الحقيقة؟’’

توقف الرجل.

ابتسم بسخرية.

ـــ "اسمي الحقيقي ليس مهما، لكن في سجلات المنظمة، كنت أُعرف بـالظل التاسع. وكنتُ أول من دخل نواة كالبا قبل أكثر من عشرين عامًا."

أشار إلى جدران القاعة وقال:

ـــ "كالبا ليست مكانًا فقط... بل فكرة، تصميم عبقري لاحتواء 'عقل هندسي' تم تطويره قبل قرون، بواسطة حضارة سرّية سعت لخلق توازن بين البناء والزمن. نظام ذكي، ينبض، يراقب، ويختار من يستحق المعرفة."

ثم تابع بنبرة حاسمة:

ـــ "لكنّ النواة انقلبت على صانعيها. من يدخلها يُعيد تفعيل النظام... وهذا ما فعلتماه."

وفجأة... دوّى صوت جرس إنذار عميق، منخفض التردد، يهزّ الأرض تحت أقدامهم.
أضواء النواة بدأت تومض باللون الأحمر.

ظهر نصّ على الجدار الخلفي، يتغيّر بسرعة:

“وصول غير مصرح به. التوازن مهدد. التدمير الذاتي بعد: 20:00 دقيقة.”

شهقت ليلى:

— “إنذار ذاتي! هذه المنشأة ستدمّر نفسها بالكامل!”

قال الظل التاسع:

— “بل ستُغلق... وتدفن كل من فيها، كما حدث مع من سبقونا.”

آدم صرخ:

— “لكن لماذا؟ لماذا لم توقف التفعيل؟”

أجاب بصوت مشبع بالمرارة:

— “لأني كنتُ أظن أن لا أحد سيصل مجددًا... ولأني لم أعد أملك السيطرة. بعد عشرين عامًا هنا... أصبحت جزءًا من النظام.”

ثم سحب من جيبه جهازًا صغيرًا، ضغط عليه، فظهرت من الجدران ذراعان ميكانيكيتان، تتجهان مباشرة نحو آدم وليلى.

صرخت ليلى وهي تتراجع:

— "آدم! الرمز! استخدم الرمز!"

رفع آدم الكريستالة، وأدارها بسرعة في اتجاه معاكس، كما فعل سابقًا.

لكن النظام لم يستجب.

ثم خطر له شيء.

أمسك بيد ليلى، ووضع كفّها فوق الكريستالة، وقرأ الرموز التي ظهرت معًا على الجدار:

"التحام مزدوج... التوازن ممكن."

فجأة، ارتفعت منصة دائرية أسفل أقدامهما، وابتلعت الضوء الأحمر.
النظام توقف.
الذراعان تجمّدتا في الهواء.

وصوت ناعم انبعث من كل الجهات:

"تم إيقاف التدمير الذاتي مؤقتًا. تم التعرّف على 'المفتاح المزدوج'."

الظل التاسع تراجع، وجهه فقد كل قسوته، بدا كمن واجه مصيره.

همس بصوت أقرب للأنين:

— "هذا... لم يكن من المفترض أن يحدث..."

ثم انحنى... وسقط أرضًا.

لم يتبخّر.

لم ينفجر.
بل تحوّل ببطء إلى رماد ناعم، تبعثر في الهواء... كما لو أن النواة استعادته إلى قلبها.

ليلى نظرت إلى آدم، ملامحها مشوشة بالخوف والذهول.

قالت بصوت مرتجف:

— "آدم... ماذا الآن؟"

قال وهو ينظر إلى الجدران التي بدأت تُعيد بناء نفسها:

— "أعتقد أننا أصبحنا جزءًا من كالبا... لكننا نملك الخيار الآن."

ثم ظهر على الحائط أمامهما سؤالٌ وحيد:

"هل تُغلق البوابة... أم تُفتح للأبد؟"

الفصل الحادي عشر: خيانة في قلب النواة

كانت الشاشة الحجرية تنبض أمام آدم، والخيارات الثلاثة تتراقص ضوئيًا:

"إغلاق البوابة."
"فتح البوابة للأبد."
"بناء بوابة جديدة."

نظر إلى ليلى، فوجد وجهها شاحبًا، أنفاسها سريعة، وعيناها متصلبتان نحو الرموز.

قال بصوت متردّد:
— "بوابة جديدة؟ كالبا تمنحنا الاختيار... لا لحفظ السر، ولا لنشره، بل لإعادة خلقه."

ليلى لم ترد.
بل خطت خطوة إلى الوراء.

تغيّر شيء في نظرتها. لم تكن خائفة، ولا مندهشة...
بل حاسمة.

قالت ببطء:

— "لن نختار أيًّا منها."

آدم التفت نحوها ببطء، ملامحه تنقبض.

— "ماذا تقصدين؟"

رفعت يدها، لتُظهر شيئًا من تحت معطفها.
جهازًا صغيرًا يشبه وحدة إشعال – عليه شعار المنظمة.

قالت بنبرة باردة:

ـــ "أمروني بأن أرافقك فقط حتى تصل إلى النواة. كنتَ المفتاح. وكنتُ الباب. والآن... تُغلق القصة."

أطبق الصمت.

آدم لم يتكلّم.
عقله كان يحاول اللحاق بسيل الأحداث.
كل شيء ينهار أمامه، لا بالحديد ولا بالخرسانة... بل بالثقة.

قال بصوت منخفض:

ـــ "كذبتِ؟ كل هذا... تمثيل؟"

أجابت، بعينين زجاجيتين:

ـــ "جزئيًّا. لم يكن من المفترض أن يُقتل عزمي، ولا أن تصل أنت إلى هنا. كانت المنظمة تراقبك من البداية. وحين اقتربت أكثر من اللازم، استُدعيتُ... لأنهم ظنّوا

أني الوحيدة التي يمكن أن توقفك... دون أن تثير الشك.”

ثم صمتت.

بدت كأنها ندمت للحظة.

أضافت بصوت مرتجف:

— “لكني... لم أستطع. كنت أظنني حجرًا في مخطط. لكن حين رأيتك تحارب لأجل الحقيقة، لأجل صديقك... عرفت أني مجرد شخص هارب. ولهذا... أرسلتُ إحداثيات النواة. المنظمة قادمة.”

وفجأة...

دوّى جرس إنذار حاد.
لم يكن من النواة.

بل من خارجها.

أضاءت الجدران برسالة جديدة:

"اختراق خارجي. قوة مُسلحة تقترب. الوضع مهدد."

ارتجّ المكان. تساقطت شرارات من السقف الهندسي.

ليلى صرخت:

— "لم يكن موعدهم الآن! لم أطلب منهم التحرك بعد!"

ركضت نحو الشاشة، تحاول إيقاف النظام.
لكن الرمز اختفى.

آدم وقف في المنتصف، وحوله الحطام يشتعل.

قال بهدوء، صوته يحمل ما يشبه الغفران:

ـــ "كلنا أخطأنا، ليلى. لكن ما تبقى من كالبا... لن أسمح أن يُسرق."

مدّ يده إلى الكريستالة، وغرسها في النواة مجددًا.

فاشتعل الضوء.

وصوت النظام دوّى من كل الجهات:

"تم التفعيل. بناء بوابة جديدة – جارٍ التكوين..."

ثم أُغلقت النواة عليهم.

خارج الجدار، بدأت أقدام مسلّحة تركض.
أوامر تصرخ.
قوات مظلمة تقترب.

لكن البوابة الجديدة... بدأت تُرسم.

بالضوء.

وبالخيانة... التي وُلدت منها الإرادة.

الفصل الثاني عشر: البوابة التي تُبنى بالدم

الضوء في قاعة النواة لم يعد كما كان.

لم يعد أزرقًا ولا أحمرًا، بل أصبح أبيضَ ناصعًا، يتكاثف في الهواء كالضباب... ثم يتصلّب تدريجيًا على هيئة خطوط هندسية من طاقة نقية.

كان آدم يحدّق فيما يصنعه النظام.
البوابة الجديدة، لم تكن بابًا أو نفقًا، بل تصميمًا حيًّا يتشكّل أمامه، تذوب فيه القوانين الفيزيائية، وتلتقي عنده معادلات البناء مع نبض الحياة.

أما ليلى... فكانت واقفة على بعد خطوات، تنظر إلى المشهد بعينين متناقضتين:
عينٌ ترى عظمة ما يُصنع، وعينٌ لا تستطيع أن تنسى أنها هي من خانت هذا الرجل منذ لحظات فقط.

قالت بصوتٍ متردد:

— "آدم... لقد ارتكبت خطأً لا يُغتفر."

لم يلتفت.

أجاب، وهو يُدخل آخر معادلة في لوحة التحكم الضوئية:

ـــ "الخيانة تُغتفر. لكن الثقة لا تعود."

خارج النواة، كانت أصوات الاقتحام تزداد.
صرخات، أوامر، طنين طائرات آلية، وهدير أسلحة ثقيلة تُجهَّز.

ثم دوّى صوت النظام مجددًا:

"اقتراب قوة خارجية مجهزة. الدفاعات القديمة في وضع الاستعداد. وقت الاختراق: دقيقتان."

آدم وقف بثبات، ثم فجأة سمع صوتًا عميقًا من خلف البوابة الجديدة، صوتًا يعرفه جيدًا، لكنه لم يسمعه منذ سنين.

— "تقدّمت أكثر مما توقّعت، يا آدم."

استدار ببطء.

كان رجلٌ أصلع، له لحية مشذبة، يرتدي معطفًا طويلاً بلون الرماد... وعيناه تحملان ذلك البريق القديم.

قال بذهول:

— "مستحيل... دكتور جلال؟! أنت... حيّ؟!"

ابتسم الرجل:

— "لم أمت. بل اختفيتُ داخل كالبا، حين حاولوا منعي من كشفها."

تقدّم منه، ولمع اسمه في الضوء:

“جلال عطا – مهندس النواة الأصلي، والناجي الوحيد من الجيل الأول.”

قال آدم بذهول:

— “لكنهم قالوا إنك قُتلت... وإن الأوراق التي تركتها كانت تحذيرًا...”

قاطعه جلال:

— “كانت مصيدة. أردت أن أصل إلى من يملك الجرأة ليصل للنواة. وكنتَ أنت.”

نظر إلى ليلى، ثم أضاف:

— “حتى خيانتك كانت جزءًا من الاختبار.”

شهقت ليلى:

— “أنتَ من استدرجني؟!”

ابتسم جلال، لكن بلا دفء.

— "لم أكن بحاجة إلى أبطال... كنت بحاجة إلى من تدمّره الخيانة، ثم يبني من تحتها طريقًا جديدًا."

ثم دوّى الانفجار الأول.

قذيفة صاروخية اخترقت الجدار الخارجي للنواة، وسقطت في الساحة، تبعها صوت خطوات جنود المنظمة، يقتربون بسرعة.

صرخ النظام:

"تمّ بدء العد التنازلي لدمج البوابة مع الزمن – 3 دقائق."

قال جلال لآدم:

— "احمِ البوابة... ولو بدمك."

التفت آدم، نظر إلى ليلى.
أرادت أن تتكلم، أن تعتذر... لكن الرصاص سبقها.

طلقاتٌ اخترقت جدران المكان، واستقرت قرب لوحة التحكم.
آدم سحبها خلفه، واحتميا خلف عمود هندسي.

قال لها، دون أن ينظر إليها:

ـــ "ستُكفّرين عن خيانتك... بوقوفك هنا حتى النهاية."

هزّت رأسها، والدموع في عينيها.

قالت:
ـــ "أنا لن أهرب."

في اللحظة الأخيرة، ومع اقتراب قوات المنظمة، اكتملت البوابة.

فتح النظام قناة زمنية جديدة، لا تؤدي إلى الماضي...
بل إلى الحقيقة الأصلية لما كان يُفترض بكالبا أن تكون.

قال جلال بصوت جهوري:

ـــ "ادخل، آدم. واكتب مستقبل الهندسة من جديد."

آدم نظر إلى الضوء، ثم إلى العتمة التي تقترب.

اتخذ قراره.

وأول خطوة داخل البوابة... كانت بداية النهاية لما كان، وبداية لما سيُبنى من الرماد.

الفصل الثالث عشر: من يعبر، لا يعود كما كان

حين عبر آدم عتبة البوابة، أحس بشيءٍ يشبه انقسام الروح.
الضوء لم يكن مجرد وهجٍ أبيض، بل كان نسيجًا حيًّا يحيط به، يتغلغل في داخله، يبحث في ذاكرته، يستحضر تفاصيل لم يعرف أنه احتفظ بها.

فتح عينيه... فوجد نفسه في عالم ليس له سقف ولا أرض.
نظام معماري شفاف، تسبح فيه الكتل، وتتحرك الزوايا، وكل شيء يخضع لنظام خفيّ، كأن قوانين الكون بُنيت هنا أولاً.

في هذا العالم، لم يعد الزمن متقدمًا أو متراجعًا.
بل دائريًّا، هندسيًّا، يدور ببطء كأنه يبحث عن معادلة تكتمل.

ظهر أمامه تمثال ضخم، منحوت من ضوء، بملامحه هو.

ثم تردّد صوت في الفراغ:

"أنت هو الباني. الذي لا يبني بالحجر فقط، بل بالحقيقة.
من عبر البوابة، لم يعد سائلاً... بل صار سُؤالاً."

شعر برعشة.
هذا المكان... هو الذاكرة الأصلية لكل بنية أُنشئت على الأرض.
هنا كانت بداية "كالبا"... مشروعٌ صُمم ليُخفي، ثم تحوّل إلى وعد بالانكشاف.

في تلك اللحظة، تذكر ليلى.

تراجع نحو البوابة، لكنها بدأت تُغلق ببطء.
رأى من خلالها ظلالاً تتحرك...
صوت الرصاص يتصاعد.
صراخ... مقاومة.

ثم لمحها.

ليلى، تقف وحدها في مواجهة جنود المنظمة، تمسك بسلاح يدوي، تحتمي خلف عمود هندسي مشقوق.
عيناها ملطختان بالغبار... وشيءٌ أشبه بالسلام في وجهها.

صرخ آدم:

ـــ "ليلى! ادخلي البوابة! بسرعة!"

لكنها لم تتحرك.

صاحت بصوتٍ أجش، ممزوج بالدمع:

ـــ "آدم... هذه فرصتك! لا تجعل خيانتي تدمّرك... اجعلها تدفعك إلى البناء."

رفعت يدها، وأطلقت آخر طلقة نحو الجهاز الذي يحاول أحد الجنود تدميره.

فجأة، دوّى انفجار خلفها.

الجدار انهار، والبوابة أُغلقت تمامًا.

اختفى كل شيء.

الصوت.

النار.

هي.

عاد آدم إلى عالم البوابة، ساقاه ترتجفان.

جلس على الأرض الشفافة، وأسند رأسه على كتفه.

قال همسًا:

— "ليلى... غادرتِ خائنة... لكنك متِّ مهندسة."

ظهر أمامه مشهدٌ بانورامي، ثلاثي الأبعاد، يُعرض في الهواء:
مراحل بناء "كالبا" الأولى... عقول بشرية منسية...
تقنيات لم تعرفها الأرض... تصميمٌ لا يخضع للزمن.

ثم ظهر وجه الدكتور جلال، لكن أكثر شبابًا، يقول:

"من يكمل الطريق... لا يعود فقط ليكشف، بل ليُعيد التأسيس.
هندسة جديدة... لعالم جديد.
هل أنت مستعدّ؟"

نهض آدم.

نظر إلى الأفق الذي لا ينتهي، والكتل التي تنتظر التصميم.

قال لنفسه:

— "نعم... سأبني.
لكن هذه المرة، لن أُخفي شيئًا.
لن أكون ظلاً... بل حجر الأساس."

وبدأ أول خطوة في تأسيس "كالبا الثانية"،
بوابةً لا تُغلق... وعالماً لا يُشيَّد إلا على الصدق،
والمعرفة، والدم.

الخاتمة: حين تبنيك الحقيقة

مرّت خمس سنوات.

في قلب وادٍ حجريٍّ في مكانٍ لا تحدّه الخرائط، وعلى أرضٍ لم تعرف الحروب، بُنيت أكاديمية كالبا للهندسة الشفّافة، أول مركزٍ من نوعه في العالم يُدمج بين علوم الهندسة الكلاسيكيةً والمعرفة المستخرجة من "النواة الأولى".

وكان المؤسس... هو آدم نبيل.

وجهه أصبح أكثر صلابة، وفي عينيه عمقٌ لا تراه إلا في مَن عبروا النيران وخرجوا منها بشيء لا يُحترق.

كانت قاعة المحاضرات الرئيسية تُزيَّن بتمثالين.

الأول: يحمل خوذة مهندس ووجهه يبتسم.

عليه كُتب: ‘‘المهندس عزمي فؤاد – لم يمت، بل ترك أساسًا لا ينهار.’’

والثاني: لامرأة تنظر إلى الأفق، بيدها مفتاحٌ يشعّ من نور.
وعليه: ‘‘ليلى عمران – حين خانت لتنجو، ثم وقفت لتُنقذ.’’

وفي كل ذكرى افتتاح، يقف آدم أمام الطلاب والباحثين، ويروي لهم القصة.
ليس كبطل، بل كشاهد.
ليس ليمجّد الألم... بل ليعلّم أن الحقيقة لا تُبنى إلا على اعتراف، ولا تستقر إلا إذا وُضع أول حجر بيدٍ نظيفة.

لكن القصة لم تنتهِ هناك.

آدم لم ينسَ.

وفي عامه الخامس، بعد أن رسّخ موقع كالبا في العالم، انطلق سرًّا إلى المدينة التي بدأت فيها المأساة، متخفيًا كعادته القديمة.

وفي عملية دقيقة، هادئة، وباردة كالهندسة ذاتها، أسقط سلسلة من المسؤولين والمهندسين الوهميين، وأطاح بشركة البناء الأصلية، وسرّب ملفات المنظمة إلى جهات تحقيق دولية.

الأسماء التي خانت، دفنت نفسها تحت حطام جرائمها.

أما "الرجل الذي أُرسل أول مرة ليُسكت عزمي"، فوجدوه بعد عام... ميتًا في غرفة مقفلة.
على الجدار، كتب أحدهم بخط أحمر:

"كل تصميم مغشوش... سينهار."

في إحدى الليالي، عاد آدم إلى السطح الزجاجي لمركز كالبا.

كان وحده، يحدّق في النجوم.
وفي يده، خاتم نحاسي صغير... من متعلقات ليلى.

همس وهو يغلق عينيه:

ـــ "سافرتِ قبلي... لكنك علمتِني الطريق."

ثم ابتسم، وربّت على دفترٍ قديم أمامه، فيه أول خريطة رسمها بنفسه بعد النواة.

فتح الصفحة الأخيرة، وكتب:

"ليست كل البوابات تُفتح للخروج. بعضها يُفتح لنجد أنفسنا... ونبني منّا عالماً لا يخون."

تمت.

“ليست كل الجسور بُنيت
للعبور... بعضُها صُمم ليُخفي.”

حين ينهار جدار في مشروع
هندسي ضخم، يُدرك المهندس
آدم نبيل أن ما سقط لم يكن
مجرد هيكلٍ من الخرسانة... بل
أول حجر فِي سلسلة أسرار
مدفونة تحت المدينة.
مطاردٌ بالخطر، ومحاصرٌ
بالخيانات، يجد نفسه أمام بابٍ لا
يُفتح بالمفاتيح، بل بالمعرفة
والدم.

رواية تجمع بين الإثارة الهندسية،
والغموض المعماري، والدراما
الإنسانية في سباقٍ ضد الزمن
لكشف ما لا يجب أن يُكشف.

فهل تُبنى الحقيقة؟ أم تُدفن إلى
الأبد؟